تقدير موقف

عملية «طوفان الأقصى».. الأسباب والتداعيات والسيناريوهات المتوقعة

13 أكتوبر 2023م

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

المحتويـــات

أولًا: ملامح وسمات الجولة الراهنة مقارنة بالجولات السابقة 3

ثانيًا: الأسباب والسياقات..... 9

ثالثًا: تداعيات حملة «طوفان الأقصى» وتأثيراتها 11

رابعًا: السيناريوهات المحتملة 17

في هجوم غير مسبوق، شنت «كتائب عز الدين القسام»، الجناح العسكري لحركة حماس، صبيحة يوم السبت 7 أكتوبر 2023م، عملية «طوفان الأقصى» ضد إسرائيل، وتضمنت العملية تسلل عدد كبير من مسلحي «كتائب عز الدين القسام» إلى داخل مستوطنات غلاف غزة، وقتْل عدد كبير من الجنود والمستوطنين، وأسْر العشرات من الإسرائيليين.

بدأت عملية «طوفان الأقصى» بإطلاق آلاف الصواريخ تجاه المستوطنات والمدن الإسرائيلية، كما تسلل مسلحو حماس من البحر والجو إلى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

في مقابل هذا الهجوم أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو «حالة الحرب» كما أطلق الجيش الإسرائيلي عملية «السيوف الحديدية»، التي أسفرت حتى الآن عن سقوط نحو 1230 شهيدًا من الفلسطينيين وتشريد الآلاف، فضلًا عن تدمير أحياء كاملة في قطاع غزة.

تقدير الموقف التالي يرصد ملامح الحرب الحالية مقارنة بالحروب السابقة التي خاضتها حركة حماس ضد إسرائيل، فضلًا عن الأسباب والسياقات التي نشبت فيها الحرب، ثم تداعيات حملة «طوفان الأقصى» وتأثيراتها، وأخيرًا السيناريوهات المحتملة لسير هذه الحرب.

أولًا: ملامح وسمات الجولة الراهنة مقارنة بالجولات السابقة

يمكن تحديد ملامح الجولة الراهنة من المواجهات بين المقاومة الفلسطينية، ممثلة في «كتائب عز الدين القسّام» الذراع المسلحة

لحركة حماس، وبين الجيش الإسـرائيلي، من خلال ثلاثة عناصر، على النحو التالي:

1- تغير قواعد اللعبة والاشتباك

مقارنة بجولات المواجهات السابقة بين فصائل المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسـرائيلي، من شـأن عمليـة «طوفـان الأقصى» التي أعلنتها «كتائب عز الدين القسام»، تغيير قواعد اللعبة والاشتباك بـين الطرفين، من حيث ميدان المواجهات بين الطرفين، ومن حيث الطرف المحدِّد لزمان ومكان المواجهات.

بالنسبة لميدان المواجهات، فقد تمكنت «كتائب القسام»، خلال الجولة الراهنة، من نقل المعركة إلى داخل نطاق الأراضي الخاضعة للاحتلال الإسـرائيلي بداية من اقتحام مقاتليها -برًّا وجوًّا- للسياج العازل بين قطاع غزة وما يسمى بـ«غلاف غزة» تجاه العمق الإسرائيلي، بينما أُجريت جولات المواجهات السابقة كافة بين الطرفين داخل قطاع غزة.

يشكِّل «غلاف غزة» أهمية إستراتيجية لتل أبيب، لكونه عبارة عن منطقة عازلة بين القطاع وإسرائيل لتحييد التهديدات المحتملة من غزة، لذلك تقدِّم إسرائيل امتيازات هائلة لتشجيع المستوطنين على العيش في مستوطناته، كما يمثل الغلاف خط الدفاع الأول لإسرائيل من جهة غزة، لذلك يعد الحدث اختراقًا كبيرًا لهذا الخط الدفاعي، حيـث شُـوهد، ولأول مرة، مقاتلو «كتائـب القسـام» يتجوّلون بأسـلحتهم داخل مستوطنات، وهو ما يضع إسـرائيل أمام معضلة نزوح جماعي للمستوطنين من الغلاف، وصعوبة العودة مجددًا.

خريطة رقم (1): الموقع الجغرافي لغلاف قطاع غزة

المصدر: https://t.co/SDBF8g

تجدر الإشارة إلى أن إسرائيل أنشأت الغلاف عقب انسحابها من غزة عام 2005م، وهو يمتد طوله إلى نحو 40 كيلومترًا من السياج العازل حول غزة نحو خط حدود إسرائيل مع الغلاف، وعرض يتراوح بين 5 و15 كيلومترًا، ويحتوي على قواعد إسرائيلية مثل قاعدة ريعيم العسكرية، ويضم نحو 50 مستوطنة، يعيش فيها قرابة 55 ألف مستوطن، ومن أهم مستوطناته: سديروت وزيكيم وكيسوفيم وأشكول ونحال عوز وماغن وكفار عزة.. (انظر الشكل رقم 1).

شكل رقم (1): غلاف غزة بالأرقام

أما بالنسبة للطرف المحدد لزمان المواجهات، فبينما كانت إسرائيل هي الطرف المحدد لزمان المواجهات ومكانها طوال العقود الماضية، بدت الجولة الراهنة مغايرة، إذ حددت المقاومة زمانها ومكانها، وأعلنت

انطـلاق عملية «طوفـان الأقصى»، التي شـملت تسـلل المقاتلين إلى مسـتوطنات الغلاف بالتزامن مع إطلاق آلاف الصواريخ على جنوب ووسط إسرائيل، على نحو أصاب إسرائيل بصدمة كبيرة وغير مسـبوقة، لم تشهدها منذ حرب 1973م، وفي المقابل ردت إسرائيل بعملية «السيوف الحديدية».

2- حجم النتائج والمكاسب

مقارنة بما سبقها من جولات، حصلت إسرائيل على تضامن وتعاطف من بعض الدول على الصعيد الدولي، ووظَّفت ذلك، مع العدد الكبير من القتلى والرهائن في شن عملية أكثر عنفًا، بحثًا عن استرداد ولو جزء من هيبتها التي اهتزت في الداخل والخارج.

في المقابل، حققت الفصائل الفلسطينية مكاسب نوعية غير مسبوقة خلال الجولة الراهنة، إذ تمكن مقاتلو «كتائب القسـام» ليس فقط من اختراق خط الدفاع الأول لإسرائيل ونقل المعركة إلى العمق الإسرائيلي، بل تمكنوا من التشكيك في مبدأ إسرائيل «قوة لا تُقهر»، إلى درجة أن وصف الكتاب الإسرائيليون عملية «طوفان الأقصى» بـ«بالصدمة والكابوس الكبير معًا الذي أرعب بلدا بأكمله»، وبتكرار يوم الغفران عام 1973م، حرب تحرير سيناء المصرية في السادس من أكتوبر عام 1973م، كذلك رددوا أن عملية التسلل إلى داخل غلاف غزة يكشف عن فشل كبير لحكومة نتنياهو وجهاز الاستخبارات الإسرائيلي في عدم التوصل إلى معلومات قبل وقوع الهجوم، والفشل في حماية المستوطنين، ما يفرض ضرورة تشكيل حكومة طوارئ عاجلة، ومحاسبة نتنياهو بعد انتهاء الحرب.

أما عن الخسـائر البشرية التي تكبدتها إسـرائيل من قتلى ورهائن ومعدات عسكرية، فهي قائمة كبيرة أثارت حالة رعب غير مسبوقة،

خصوصًا داخل إسرائيل، فقد بلغت منذ اليوم الأول حتى اليوم السادس من المواجهات حسب الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية 1300 قتيل، بينهم 222 عسكريًا برُتب متفاوتة، أما عدد الجرحى من الإسرائيليين فقد وصل إلى أكثر من 3300، مع اختطاف مقاتلي المقاومة أكثر من 100 رهينة إسرائيلية. ورغم إعلان إسرائيل المتواصل عن حجم خسائرها، لكن قد توجد مبالغة في عدد القتلى لأهداف سياسية أو لرفع الكلفة السياسية والأمنية على حركة حماس وجلب مزيد من الدعم والتعاطف الغربي مع إسرائيل.

في المقابل، بلغ عدد القتلى الفلسطينيين حتى نهاية اليوم السادس من العملية نحو 1230 شهيدًا ونحو 6000 مصاب، وهو عدد كبير للغاية مقارنة بنفس عدد الأيام خلال الجولات السابقة، ومع توقعات استمرارية العملية لفترة أطول من الجولات السابقة، وتوصيف ردة الفعل الإسرائيلية بالأعنف خلال الجولة الراهنة، مع عدم وجود أي إشارات إلى مسار دبلوماسي متقدم بين الطرفين يُفضي في القريب العاجل إلى تسوية، فإنه يتوقع أن تصل الأرقام من القتلى والجرحى الفلسطينيين إلى عشرات الآلاف.

3- تقييم حجم الآثار

تختلف آثار الجولة على أطرافها عن الجولات السابقة كافة، فحجم الآثار كبير للغاية خلال هذه الجولة، إذ هزت الجولة الراهنة هيبة الحكومة، بل والدولة الإسرائيلية، بشكل كبير أمام الداخل والخارج، وكشفت عن سلسلة إخفاقات إسرائيلية في رؤاها وإستراتيجياتها الأمنية وفي تقديراتها لأوراق قوة الخصم، مقارنة بسابقاتها من جولات، كما تضع إسرائيل أمام مرحلة جديدة من الصراع العربي- الإسرائيلي، وتيقنت الشعوب أن حالة التهويل التي رُسمت حول

إسرائيل مجرد خدعة كبيرة، ما يجعلها تعيد التفكير وحساباتها من جديد تجاه قضايا الحل النهائي: الدولة الفلسطينية، المستوطنات، اللاجئين، القدس، فضلًا عن مفاقمتها حجم التحديات في الداخل، والتأثير في فرص إسرائيل نحو التطبيع في الخارج.

أشار عديد من الكتاب الإسرائيليين إلى أهم أثر يتمثل في تمكُّن حماس من القفز على رؤية إسرائيل، التي دائمًا ما ردَّدتها خلال الآونة الأخيرة، بأنه جرى ردع الحركة بشكل كبير عن مسألة تنفيذ عمليات برية ضخمة وواسعة نحو الداخل الإسرائيلي، وذلك ببث الرسائل المتتالية بفارق القوة الضخم وبحجم الرد الإسرائيلي الكبير، ما كان يفرض على الحركة تجنب مسألة إدخال القطاع في مواجهة مفتوحة مع إسرائيل. لكن واقعيًّا ثبت بطلان الافتراض أمام عملية «طوفان الأقصى»، التي ستبقى ذكراها خالدة للأبد، على حد قولهم.

كثافة حجم الآثار التي تركتها «طوفان الأقصى» على الإسرائيليين تتضح في حالة الصدمة التي مُنيت بها إسرائيل حكومة ونخبة وشعبًا، خوفًا على مستقبل دولتهم، لذلك أعلنت تل أبيب «حالة الحرب»، التي يجري خلالها تعبئة القدرات البشرية والمادية، باستدعاء أكثر من 300 ألف جندي من قوات الاحتياط في أكبر عملية من نوعها، وهي المرة الأولى التي تعلن فيها إسرائيل «حالة الحرب» منذ حرب 1973م. كما أعلن الحليف الأمريكي لإسرائيل عن مساعدات عسكرية جديدة لتل أبيب، وحرك حاملة طائرات قرب إسرائيل، وبالتالي هي ليست عملة عسكرية اعتيادية مثل العمليات السابقة ضد المقاومة.

وعلى ما يبدو أن كثافة الآثار تجعل من ردة الفعل الإسرائيلية انتقامية بشكل غير مسبوق، وتتجلى في عدد القتلى اليومي للفلسطينيين في

قطاع غزة وفي المقار المدنية ودور العبادة والمدارس والمستشفيات وآلاف الأهداف التابعة لحماس، وتطيل أمدها بشكل غير مسبوق، مقارنة بفترات الجولات السابقة من المواجهات، ما لم تتدخل أطراف إقليمية ودولية تكون قادرة على ممارسة الضغط على إسرائيل لوقف الحرب.

إجمالًا، تعد هذه العملية نوعية في توقيتها وفي حجمها، وفي قواعدها ونتائجها وآثارها، فهذه أول مرة منذ نشأة إسرائيل قبل أكثر من 75 عامًا، يتسلل فيها مقاتلون فلسطينيون إلى داخل مناطق 1948م.

ثانيًا: الأسباب والسياقات

لا تختلف أسباب عملية «طوفان الأقصى» التي أطلقتها حركة حماس ضد الاحتلال الإسرائيلي عن غيرها من العمليات السابقة، التي كانت عادة رد فعل للانتهاكات المتواصلة من الإسرائيليين ضد الفلسطينين ومقدساتهم، فقد أعلن محمد الضيف، القائد العام لكتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، بدء عملية «طوفان الأقصى»، «ردًّا على عرْبدة الاحتلال في المسجد الأقصى، وسحْل النساء في باحاته»، وأيضًا رفض الاحتلال الإسرائيلي عقْد صفقة إنسانية لتبادل الأسْرى، وهي لا ترتبط بحدث معين بذاته، كون حجم العملية وتعقيداتها يتطلب استعدادات كبيرة تستغرق فترة زمنية طويلة نسبيًّا، ولكن توقيت العملية يأتي في سياق فلسطيني وإسرائيلي وإقليمي، تتمثل أهم سماته في ما يلي:

■ الهدوء النسبي لجبهة تنظيمات المقاومة في قطاع غزة، خصوصًا حركة حماس التي أبدت قدرًا من الانضباط في تعاملها مع عمليات إطلاق الصواريخ من قطاع غزة تجاه إسرائيل، كان أبرزها عدم المشاركة في المواجهة الأخيرة بين حركة الجهاد الإسلامي وإسرائيل، عندما شنت الأخيرة في إطار عملية «السهم الواقي» هجمات استهدفت

قيادات عسكرية من سـرايا القدس، الجناح العسكري للحركة. وقد نقلت وسائل إعلام عن مسؤول بحركة حماس، أن ذلك كان مقصودًا في إطار خطة خداع إسـتراتيجي مارسـتها حمـاس لتُباغث بهجومها الجيش الإسرائيلي الذي كان يستبعد عملية في هذا التوقيت، وتصور أن حركة حماس باتت أقرب للإدارة السياسية منها إلى الفعل المقاوِم.

■ اسـتمرار تردِّي الأوضاع الاقتصادية في قطاع غـزة نتيجة الحصار المستمر منذ قرابة عقدين، وفاقم المشكلات المعيشية لسكان القطاع.

■ اسـتمرار تقويض دور السلطة الفلسطينية وتهميشها من طرف الحكومة الإسـرائيلية، ما جعـل تأثيرها محـدودًا جدًّا في المشـهد السياسي والأمني الفلسطيني، واستمرار الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية، وتمكين المستوطنين المتطرفين من انتهاكها، ما شكَّل عامل استفزاز كبيرًا لقوى المقاومة التي كانت في حاجة لاستعادة الفلسطينيين الثقة بها وقدرتها على رد الانتهاكات الإسرائيلية.

■ اسـتمرار اقتحـام الجيش الإسـرائيلي للمـدن والقرى والبلدات الفلسـطينية في الضفة الغربية، وشن حملة اعتقالات وهدم بيوت ومصادرة أراضٍ، وبناء المستوطنات، وممارسات استفزازية لها رمزية كبيرة على غرار ما كشفت عنه صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية من إقدام مجنّدتين إسرائيليتين على إرغام خمس سيدات فلسطينيات في الخليـل على نزع ثيابهن، ما كان محلَّ إدانة شـديدة وتهديد من فصائل المقاومة بأنه لن يمر دون رد.

■ تصاعد في المنطقـة وتيرة مبادرات التهدئة، الـتي أعقبت الاتفاق السعودي-الإيراني برعاية الصين، إذ برزت إلى الواجهة في الفترة الأخيرة مبادرة جديدة لإحياء عملية السلام من خلال النافذة السعودية، التي تحدثت عن وجود مفاوضات عبر الولايات المتحدة الأمريكية لإقامة علاقات بين المملكة وإسـرائيل، وقد أبدت الخارجية السـعودية انفتاحها على الموضوع بشـروط، يأتي في مقدمتها منح الفلسطينيين حقوقهم.

■ توقيت عملية «طوفان الأقصى» يتزامن مع ذكرى حرب أكتوبر 1973م بدلالاتها التاريخية المتنوعة، التي تذكِّر بالانتصار العربي على الاحتلال الإسرائيلي، خصوصًا مع وجود نقاط مشتركة عديدة بينهما، أبرزها المبادرة العربية في الهجوم، والمباغتة وممارسة الخداع الإستراتيجي، ما شكَّل صدمة للإسرائيليين في الحالتين، وحجم الخسائر البشرية الكبيرة في الجانب الإسرائيلي.

ثالثًا: تداعيات حملة «طوفان الأقصى» وتأثيراتها

لن تمر عملية «طوفان الأقصى» التي شنتها حركة حماس ومعها فصائل المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل دون عواقب على القضية الفلسطينية، وعلى الشرق الأوسط كله، وربما العالم، لقد أعادت الحرب القضية الفلسطينية إلى الواجهة، وكشفت تآكلًا حادًّا في قوة الردع الإسرائيلية، بل وإخفاقًا في الحسابات التي ظنت أنه يمكن حشْر شعب بكامله في الزاوية إلى الأبد، ويمكن التطرق إلى بعض التأثيرات والتداعيات المتوقعة للحرب التي شنها الفلسطينيون ضد إسرائيل على النحو الآتي:

1- تآكل الردع الإسرائيلي وتغيير المشهد السياسي الداخلي:

لقد نجحت عملية الفصائل الفلسطينية بقيادة حركة حماس في إلحاق هزيمة كبرى بالجيش الإسرائيلي، فقد أكدت العملية فشلا استخباراتيًّا وعسكريًّا كبيرًا، إذ لم تتوقع أجهزة الأمن الإسرائيلي، التي تدّعي تفوقها في التنبؤ، الهجوم الذي غيّر قواعد الاشتباك بين إسرائيل وفصائل المقاومة، وتحولت الفصائل من حرب الرشقات الصاروخية المحسوبة إلى الهجوم الميداني برًّا وبحرًا وجوًّا، لقد كشفت العملية أيضًا عن أن قوة الردع الإسرائيلي باتت محل شك، إذ انكشفت نقاط الضعف، واحتاجت إسرائيل إلى قوة الردع الأمريكية

لكي تستعيد توازنها النفسي، ولكي تعيد استجماع قوتها، وربما ستبقى هذه العملية بعد حرب أكتوبر 1973م من الهزائم الكبرى لإسرائيل، لهذا فإن إسرائيل سيكون همها خلال المعركة الحالية هو استعادة زمام المبادرة، ورفع تكلفة الصراع على حماس واستغلال رخصة القتل التي تمنحها إياها الولايات المتحدة تحت مقولة «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها» بعملية عسكرية لا تراعي أي اعتبارات إنسانية ضد قطاع غزة في محاولة لإحراج الفصائل، بما في ذلك قطع الغذاء والوقود، كما أعلن الجيش الإسرائيلي، لكن ربما لن يمحو أثر هذه الهزيمة أي تصعيد واستخدام مفرط للقوة تجاه القطاع وبقية الأراضي الفلسطينية.

وقد تكون العملية وضعت حدًّا للدور السياسي لنتنياهو الذي يواجه صعوبات في قيادة حكومته الحالية منذ تشكيلها، فسياساته التي تأثرت بتشكيل أكثر حكومة تطرفًا في تاريخ إسرائيل، والادعاء بأنها الحكومة القادرة على توفير الأمن للإسرائيليين وقمع الفصائل الفلسطينية، وتبني هذه الحكومة نهجًا شديد التطرف، ثبت أنه كان مسار خطر وفاشل، لهذا دعا نتنياهو جميع أطياف المعارضة الإسرائيلية إلى الانخراط في حكومة وحدة، لكن هذا لن يغني عن تغيير الواقع، وقد يحدث كما حدث بعد حرب أكتوبر من محاسبة مع جولدا مائير ووزير الدفاع موشيه ديان وكثير من القادة، وبالنظر إلى فداحة خسائر المعركة النفسية قبل السياسية والعسكرية، فإن مستقبل نتنياهو سيكون على المحك، وسيتحمل نتائج هذه الهزيمة، لكن بعدما ينتهي من غسل سُمعته بالعملية التي يقودها ضد غزة، لكن أيًّا ما كانت التداعيات التي ستحملها حربه على غزة، فإنه لن يُفلت من المحاسبة، وغالبًا الإقصاء، ومعه كثير من القيادات السياسية

والأمنية والعسكرية والاستخباراتية، وهذا قد يتيح المجال إلى عودة التيارات الأكثر اعتدالًا في إسرائيل.

2- استعادة القضية الفلسطينية زخْمها وتعزيز موقع حماس وتحريك ملف الأسرى:

لقد أعادت العملية قضية فلسطين إلى واجهة الأحداث، وذلك بعد سنوات من الجمود والإهمال، وحصرها في القضايا الأمنية، فردود الفعل الدولية والإقليمية تشير إلى أن القضية ستكون في قلب الصراع الجيو-سياسي الذي تشهده المنطقة، وقد تأخذ القضية زخْما أكبر في ظل التنافس الدولي القائم، ففي مجلس الأمن حاولت الولايات المتحدة تشكيل رأي عام يدين حركة حماس ويتضامن مع إسرائيل، لكن الصين وروسيا كان موقفهما متوازنًا ومساويًا بين الجانبين.

بقدر ما تواجهه حماس من تحدٍّ في ظل رغبة إسرائيل في تغيير الوضع في غزه للأبد، فإن العملية لا شك كان لها مردود مهم بالنسبة لحماس، سواء على الساحة الفلسطينية أو على المستوى العربي والإسلامي، خصوصًا أن العملية تأتي في توقيت يتحول الرأي العام الفلسطيني فيه نحو معسكر المقاومة المسلحة، وهو ما ظهر خلال الفترة الأخيرة من مواجهات في الضفة الغربية، وفي القدس، وبينما تبدو السلطة الفلسطينية معزولة، وتعاني أزمة مصداقية في ظل التعنت الإسرائيلي وفشل مسار السلام بالكلية، فإن صعود حماس على المدى المنظور قد يكون السيناريو الأقرب للحدوث.

وبينما كان من الواضح تركيز الفصائل الفلسطينية على حصد أكبر عدد من الأسرى في صفوف الجنود والمدنيين الإسرائيليين، ونقلهم إلى القطاع، وقد نجحت الفصائل في أسر عشرات الجنود بالفعل، فإن هذا الملف سيكون ورقة مهمة للضغط على إسرائيل لتخفيف

هجماتها على قطاع غزة، وسوف يكون ورقة مهمة في المفاوضات التي قد تعقب وقف القتال، فعلى الرغم من أن إسرائيل رفضت الاستجابة لضغوط هذه الورقة خلال الفترة الأخيرة، لكن مع هذا العدد الكبير من الأسرى والضغوط من ذويهم قد تضطر إسرائيل إلى الدخول في صفقة جديدة لتبادل الأسرى، وقد تكون الصفقة كبيرة لتطال آلاف المعتقلين في إسرائيل.

3- صعود البُعد العقائدي وجاذبية الخطاب الديني وتأثيراته

ظهر البُعد العقائدي للعملية العسكرية منذ بدايتها، إذ بدأت حملة أو معركة «طوفان الأقصى» بسبب التعديات المستمرة على المسجد الأقصى، واقتحامه، ففي السابع والعشرين من يوليو 2023م اقتحم وزير الأمن القومي الإسرائيلي إيتمار بن غفير باحات المسجد الأقصى وسط حماية أمنية إسرائيلية، قائلًا: «هذا المكان هو الأهم لشعب إسرائيل، وإليه يجب أن نعود ونُظهر سيادتنا عليه». واعتبر المتحدث باسم حماس حينئذ أن هذه الخطوة «تصعيد خطير للحرب الدينية»، وفي أول هذا الشهر، أكتوبر 2023م، اقتحم مئات المستوطنين باحات المسجد الأقصى، وسط حماية من قوات الأمن، وكررت حماس تأكيدها أن هذه الخطوات بمثابة تصعيد للحرب الدينية.

وفي أثناء العملية برز الخطاب العقائدي لدى قادة حماس، فخطاب محمد الضيف، الذي مهّد به للعملية وبعد أن ردّ سببها إلى تنكر إسرائيل للمواثيق الدولية، وما سماه «جرائم الاحتلال»، «عربدة إسرائيل»، وفتح ملفات الأسرى والمعتقلين واللاجئين والاقتحامات المستمرة للقرى والبلدات الفلسطينية، قال: «مجاهدونا الأبرار.. اقتلوهم حيث ثقِفتوهم.. لا تقتلوا الشيوخ والأطفال، قاتلوا والملائكة سيقاتلون معكم..».

وقد جذب هـذا الخطاب الديـني المتعاطفين ويظهر تأثـيرالإلهام في حادث الإسـكندرية، إذ يبـدو أن تلك العمليـة ألهمت بعض المتحمسين، فأطلق شـرطيٌّ مصري النار على سائحين إسرائيليين في الإسكندرية شمال مصر، مما أسفر عن مقتلهما وإصابة آخرين. وقد أشـار محمد الضيف في كلمته إلى: «يا إخواننا في المقاومة الإسلامية في لبنان وإيران واليمن والعراق وسـوريا، هذا هو الوقت الذي تلتحم فيه مقاومتكم مع أهلكم في فلسطين..» ثم أعلنت عدة فصائل ومليشيات شـيعية عراقية دعمها ومباركتها العملية، ويشير هذا إلى عقائديين جدد قد يدعمون حركة حماس.

4- اتجاه إيران لتبني مزيد من سياسات المقاومة:

قد تقود العملية العسـكرية الإسرائيلية ضد قطاع غزة إلى تدخل من جانب فصائل أخـرى في لبنان، أو تدخـل من «حزب الله» اللبناني، وفصائل أخرى في المنطقة كالفصائل المحسوبة على إيران في العراق وسوريا واليمن، فعلى الرغم من أن هذا يحمل مخاطر كبيرة على لبنان تحديدًا وهذه الدول، وعلى الرغم من أن تهديدات هذه المليشـيات تسـتخدم ورقة التدخل من أجل الضغط على الجانب الإسـرائيلي لوقف عمليته، فإن توسيع العملية قد يدفع بهذه الأطراف إلى التدخل في الصـراع، وذلك لتخفيف الضغط عن الفصائل الفلسـطينية في الداخل والدفع باتجاه التهدئة، وتحسـين شروط تفاوض حماس مع إسـرائيل، وقد تدفع إيران بهـذا الاتجاه، وذلك لإثبات مصداقيتها وتعزيز حضورهـا في العالمين العربي والإسـلامي، فضـلًا عن هدفها الرئيسي في وقف قطار التطبيع مع دول الخليج، الذي تنظر إليه على أنه تهديد لأمنها ومصالحها، لا سيما التطبيع مع السعودية، ويضاف إلى ذلك، تثير المعركة الشكوك حول مشروع ممر الهند-الشرق

الأوسط- أوروبا، الذي تعد إسرائيل شريكًا أصيلًا فيه، فالعملية العسكرية أظهرت تحديًا أمنيًّا لنجاح هذا المشروع، وذلك بخلاف طرق أخرى أكثر أمنًا، ومنها الطريق التقليدي للتجارة بين آسيا أوروبا عبر قناة السويس.

5- مزيد من واقعية السعودية:

بينما يلاحَظ أن السعودية تتبنى نهجًا واقعيًّا في سياساتها الخارجية، وفي ظل وجود وجهة نظر لدى بعض النخب العربية بأن المقترحات القديمة لحل القضية الفلسطينية باتت لا تواكب الواقع، فمن المتوقع أن تُطرح مبادرات جديدة للتسوية، أو يجري تطوير المبادرة العربية، بحيث تتماشى مع التطورات والتحولات وتضمن للفلسطينيين جزءًا من الحقوق، وقد تلعب السعودية دورًا في هذا الإطار بوصف دورها الراهن على الصعيدين العربي والإقليمي.

من جهة ثانية، أثبتت المعركة صحة وجهة نظر السعودية في الإصرار على عقد اتفاق دفاعي مع الولايات المتحدة بصورة ثنائية، بدلًا من مشاركة غير مباشرة في هياكل أمنية إقليمية ترى المملكة أنها لا يمكن أن تكون بديلًا مناسبًا، وذلك حتى لا تكون تحالفاتها الإستراتيجية عُرضة لأي تداعيات للصراع في الأراضي المحتلة ولسياسة التعنت الإسرائيلي، كما أن السعودية قد تتحسب إلى مكانتها التي قد تتأثر بشدة في العالمين العربي والإسلامي في حالة تطبيع العلاقات مع إسرائيل، الذي ستستغله إيران لتقويض دور المملكة، لا سيما إذا كانت الحدود التي وضعتها إسرائيل في صفقة التطبيع، التي تخص القضية الفلسطينية، محدودة وتتخطى الخطوط الحمراء الفلسطينية، وذلك بحسبان المكانة الدينية للسعودية وللرباط المقدس لدى عموم المسلمين بين الحرمين والمسجد الأقصى وعدم إمكانية الفصل

بينهما، وهو رباط يمتد إلى القضية برمتها بحسبان قضية فلسطين قضية عامة وليست مقتصرة على فلسطين والفلسطينيين.

رابعًا: السيناريوهات المحتملة

في ظل استمرار التصعيد العسكري بين حركة حماس وإسرائيل وإعلان رئيس وزراء الأخيرة أن إسرائيل في حالة حرب، والدعم الغربي الكبير الذي تتلقاه من الدول الغربية، تبرز مجموعة من السيناريوهات التي قد يتحقق أحدها في مستقبل هذه الأحداث الجارية:

السيناريو الأول: ذهاب إسرائيل تجاه اجتياح كامل قطاع غزة واحتلالها، هنا يمكن القول إن حدوث هذا السيناريو يعني تحول العمليات العسكرية إلى حرب طويلة، لكن تحقق هذا السيناريو يبقى محفوفًا بالمخاطر لأن تكلفة خطوة من هذا القبيل ستكون كبيرة جدًّا في مقابل احتمالات نجاح ضعيفة جدًّا بحكم التجارب التاريخية السابقة، كما أن حركة حماس تمتلك أوراق ضغط كبيرة على إسرائيل لمنعها من التوجه نحو هذا السيناريو، أهمها وجود عدد كبير من الأسرى الإسرائيليين الذين قد يتعرضون للقتل إذا ما خاطرت إسرائيل باجتياح القطاع، وهو ما سيعرض الحكومة الإسرائيلية لضغوط شديدة من أهالى الأسْرى والمجتمع الإسرائيلي.

السيناريو الثاني: اتساع رقعة الحرب بدخول إيران و«حزب الله» والجماعات الموالية لإيران في سوريا والعراق. لكن تحقق هذا السيناريو يعني انجرار المنطقة إلى حرب واسعة، ولا يبدو أن لأحد الأطراف الإقليمية مصلحة في الدخول في حرب مع إسرائيل خلال الفترة الراهنة، ولا حتى إيران قادرة على الدخول في حرب مباشرة مع إسرائيل، نظرًا إلى اعتبارات كثيرة، منها الدعم الغربي القوي لإسرائيل في حربها

مع حماس. أما إسرائيل فلا يبدو أنها حريصة على فتح عدة جبهات للقتال، لأن ذلك سيكلفها كثيرًا من الخسائر البشرية والمادية، كما أن «حزب الله» -وغيره من الجماعات المسلحة المحسوبة على إيران- لم يعلن بعد انخراطه في الحرب، وكان من الواضح تأكيد «حزب الله» أن الضربات التي وجَّهها لقواعد عسكرية إسرائيلية كانت رد فعل على مقتل بعض عناصره نتيجة القصف الإسرائيلي. يُضاف إلى ذلك أن الحزب استُهدف مئات المرات في سوريا من طرف إسرائيل خلال السنوات الماضية ولم يُبْدِ أي رد فعل دفاعي عبر تحريك الجبهة اللبنانية.

السيناريو الثالث: إعادة الجيش الإسرائيلي ترتيب صفوفه عبر شن هجوم مضاد على قطاع غزة واحتلال بعض المناطق منه، مع محاولة إسرائيل الوصول إلى الأهداف التي رصدتها وتراها أهدافًا عسكرية لحركة حماس، وذلك بهدف شلّ قدرة حماس وتدمير إمكاناتها العسكرية وإخلاء غلاف غزة من مقاتليها بالكامل، قبل القبول بأي وساطة لوقف الحرب وتبادل الأسرى، مع شن هجمات إسرائيلية متقطعة تستهدف بها قيادات حماس وغيرها من الفصائل الفلسطينية التي سيكون من الصعب عليها شن هجمات كبيرة مثل عملية «طوفان الأقصى» لافتقادها عنصر المباغتة، وستكتفي بالرد بهجمات صاروخية مضادة، بمعنى العودة إلى الوضع القائم قبل العملية الفلسطينية الأخيرة.

السيناريو الرابع: هو سيناريو التهدئة، أي أن ينجح الوسطاء الإقليميون والدوليون في احتواء التصعيد عبر إقناع الطرفين بوقف التصعيد والدخول في تفاوض بغرض تبادل الأسرى، وقد أعلنت حركت حماس أنها حققت أهدافها من العملية، واستعدادها للحرب

الطويلة، مع الإشارة إلى انفتاحها على مقترحات التهدئة واشتراطها بدء مفاوضات تبادل الأسرى على وقف الهجوم الإسرائيلي، لكن على الضفة المقابلة يبقى هذا السيناريو صعب التحقق في الوقت الراهن نظرًا إلى حجم الخسائر البشرية والمعنوية التي مُنيت بها إسرائيل جراء عملية «طوفان الأقصى» واهتزاز صورة جيشها واستخباراتها لدى الرأي العام الإسرائيلي، لكنها يمكن أن تقبل بهذا السيناريو بعد أسابيع عندما تشعر أنها حققت بعض الإنجازات التي تحفظ لها ماء الوجه داخليًّا.

info@rasanahiiis.com
@rasanahiiis
www.rasanah-iiis.org